

## السلطنة الفتحية الإسلامية

في السودان وادى النيل

بقلم الشاعر بصلي عبد الجليل

لقد جاءت هذه السلطنة إلى حوض النيل الأزرق بالسودان ، حيث اتخذت لها عاصمة من بلدة سنار التي تقع على مسافة مائة وسبعين ميلاً جنوب الخرطوم . واستمرت في إدارة شئونها حتى العام الأول من العشرينات من القرن التاسع عشر . وقد كانت هذه البلدة مقر النائب السلطان الفنجي ويرجع اختيارها إلى موقعها على ملتقى طرق ملاحية ومحطة للقوافل التي تسير إلى الحبشة ، وساحل البحر الأحمر كما تمتد أسفارها إلى داخل السودان .

ومن الواضح أن هذه السلطنة كانت تسيطر عليها على منطقة النيل الأزرق والبطانة من عاصمتها جنوب غرب الأريتريا حيث كانت تمارس سلطاتها وكان السلطان يقوم برحلات شهرية إلى مختلف نواحي مملكته كما أشار إلى ذلك الرحالة داود رويني<sup>(١)</sup> . ويبدو أن سبب انتقال هذه السلطنة من مركزها الذي احتلته في الأريتريا منذ زمن طويل يرجع إلى حالة الحرب بين المسلمين والأجباي والتي نشبت

---

(1) Adler, Elkan, Jewish Travellers, Broadway, London 1931. See also Hillelson, S., David Reubini, An early Visitor to Sennar, Sudan Notes & Records Vol.XVI, p. 56—66.

لأسباب اقتصادية بحتة ، وقد انتقلت للمارك حتى اقتربت من الإقليم الذي تسيطر عليه السلطنة من الأرتيريا ، ولم يكن هناك بد من الإخلاء والهجرة نحو الغرب .

ومما يؤسف له أنه لم تصلنا وثائق تاريخية أو غيرها عن فترات حكم السلطنة تقطى قيامها وتطورها ، ربما تكون هناك أشجار الأنساب ، وهذه عمليات روتينية يقوم بها النقباء . وقد وصلت إلينا مخطوطة طبقات ودضيف الله ، التي كتبت في أوائل القرن التاسع عشر ، وجاءت بعدها مخطوطة كاتب الشونة أحمد بن الحاج أبو طي ، الذي كان في خدمة الحكومة الجديدة في الخرطوم وجاءت بعد هذه المخطوطة مخطوطتان لا يعرف كاتبهما ، وقد وجدت أكثر من نسخة من هذه المخطوطات تختلف الواحدة عن الأخرى بالإضافة والتعديل والتبديل وهذه المخطوطات قد تم وضعها في زمن غير بعيد حيث جمعت فيها الروايات للتداول . ويجد الباحث أن المعلومات التي جاءت في هذه الوثائق تتناقص كلما بعدت فترة الزمن ونجد أن ذكر السلاطين الأوائل لا يزيد عن الإسم وتاريخ اعتلاء العرش والنزول عنه .

وعلى الرغم من كل هذه الجهد فإن مشكلات تاريخية وغيرها ، قد بقيت تطرح نفسها ، أمام الباحثين ، وتشمل هذه المشكلات أصول البيت السلطاني ، وتطور هذه السلطنة في مراحل انتقالها ، كذلك عن تنظيمات الحكم والعلاقات بين السلطنة والشيخات للنسبة معها كونفدراليا عن طريق زعامة السبد اللاب أيضا ما زالت العلاقات بين السلطنة والحاكم النجاشي على ساحل البحر الأحمر هذا ما أشار إليه الرحالة أوليا علي وهي كلمة مقتضبة لذكر كبير لكنها تشير إلى وجود تلك العلاقات ؛

وليدوا أن كل هذه المشكلات ناجمة عن حقيقة عامة وهي أن المصادر التي تعتمد عليها الأبحاث في دراسة وصفية للمجتمع وذلك عند دراسة تاريخ السودان ، بوصفه في دار الإسلام ولعلها يتم إنجاز البحث بالكشف عن العلاقة بين أقاليم دار الإسلام في

هذه الجانب من أفريقيا . وقد كانت أقاليم السودان تشكل مركزاً استراتيجياً هامة لمكانة في التجارة والقوافل والهجرات التي تمتد طرقها إلى مناطق بعيدة من داخل القارة ، ومن المعروف أن دار الإسلام تمتد من ساحل شرق أفريقيا وتمتد إلى الداخل حتى هضبة البحيرات وقد تمتد إلى الغرب وإلى الشمال وتحتل جانباً من الأراضي التي تسكون منها الحبشة الآن ويقدرها البعض أنها كانت تضم المنطقة الواقعة جنوب أديس أبابا .

وكما أشرنا أعلاه فإننا نجد أن موضوع أصول البيت السلطاني مادة للنقاش والجدال في الثلاثينات من هذا القرن . وبصورة خاصة على صفحات مجلة السودان في رسائل ومدونات التي تصدر بالإنكليزية في الخرطوم وقد توقفت هذه المناقشات بسبب تقاعد الأطراف المعنية من خدمة إدارة السودان . وقد نشأت هذه المحاولات ووصلت إلى طريق مسدود وقد رى أن أوائل البحث في هذه المادة ، وقد توفرت ذلك بعد أن عملت بمعهد الدراسات السودانية ( الأفريقية فيما بعد ) بجامعة القاهرة حيث أمضيت ستة عشر عاماً .

وعملت باهتمام في مراجعة النشاطات السابقة . وكان هدفي أن أجمع المعلومات وأضعها للباحثين ، دون أن أسمع لنفسي بإبداء رأي أفرسه ، لأن ذلك ليس في قدرتي عمله . لأن عرض الحقائق التي أنحني من صحتها لحد ما كافية لاكتشف عن الوضع . فلذلك لا أتحمّل رأياً ولا أستطيع أن أحيد ذلك الرأي أو أتغلب عنه .

وقد كان على أن اتخذ منهجاً للبحث ، وبعد مقارنات متباينة ، وجدت أن المشكلة لا تحل إلا بدراسة تنازلية وأن تمتد تلك الدراسة إلى مناطق أقاليم دار الإسلام المختلفة . وقد تشكون إقامة سلطنة في جنوب غرب الأترتيا كما شهدنا

داود رويني في العشرينات من القرن السادس عشر الميلادي نقطة البداية بالمعيرة التنازلية . ووجدنا أن نقوش دار الفنج الموجودة على النحاس، الذي نشره روبنسون<sup>(١)</sup> لها منزى هام حيث ينطى الفترة السابقة لقيام السلطنة في الأرتيريا ، وتعتبر هذه الفترة هي الجسر الذي يربط بين طرفي للشكلة .

وطى هذا أخذنا بإعداد جدول مرحلى يبدأ من منتصف القرن السابع لليلادى طى الوجه التالى .

#### للرحلة الأولى من عام ٦١٥/٦٥٠ إلى عام ٩٥٠:

- نسبة أ من ٦٦٥/٦٦٠ إلى ٧٠٠ م
- ب من ٧٠١ إلى ٧٥١ سقوط الدولة الأموية
- ج من ٧٥١ إلى ٨٠٠
- د من ٨٠١ إلى ٨٥٠
- هـ من ٨٥١ إلى ٩٠٠
- و من ٩٠١ إلى ٩٥٠

#### للرحلة الثانية من ٩٥١ إلى ١٢٥٠ :

- نسبة أ من ٩٥١ — ١٠٠٠
- ب من ١٠٠١ إلى ١٠٥٠
- ج من ١٠٥١ إلى ١١٠٠
- د من ١١٠١ إلى ١١٥٠
- هـ من ١١٥١ إلى ١٢٠٠
- و من ١٢٠١ إلى ١٢٥٠ م

(1) A. E. R., The Fung Drum or nehaz, Sudan Notes & Records Vol. IV P. 211—212.

### الرحلة الثالثة من ١٢٥١ إلى ١٥٥٠ :

قسمة	أ	من ١٢٥١ إلى ١٣٠٠
»	ب	من ١٣٠١ إلى ١٣٥٠
»	ج	من ١٣٥١ إلى ١٤٠٠
»	د	من ١٤٠١ إلى ١٤٥٠
»	هـ	من ١٤٥١ إلى ١٥٠٠
»	و	من ١٥٠١ إلى ١٥٥٠

### الرحلة الرابعة من ١٥٥١ إلى ١٨٢١ :

قسمة	أ	من ١٥٥١ إلى ١٦٠٠
»	ب	من ١٦٠١ إلى ١٦٥٠
»	ج	من ١٦٥١ إلى ١٧٠٠
»	د	من ١٧٠١ إلى ١٧٥٠
»	هـ	من ١٧٥١ إلى ١٨٠٠
»	و	من ١٨٠١ إلى ١٨٢١

وليس في هذا التقسيم ما يشير إلى تكوين وحدات تاريخية غير مرتبطة بل بالعكس هي تصور تاريخي مستمر تضم أحداثاً مستمرة .

ووجدنا بعد القيام بالعملية التنازلية لجمع المعلومات المتوفرة ، أن ضرورة البحث تقتضي عرض الوقائع التاريخية وغيرها في تناسق تاريخي . فإذا افترضنا أن السلطان عمارة وهو السلطان الفنجي الذي انتقل على يد يد كرسى الحكم إلى سينار في نهاية الحماة والعشرين عاماً الأولى من القرن السادس عشر ووجدنا أن والده السلطان عدلان كان متولياً العرش قبله ، فأخذنا بأن السلطان عمارة قد تولى الحكم في نهاية القرن الخامس عشر ، وباحتمال ولاية والده السلطان في النصف الثاني من القرن

الخامس عشر . وافترضنا عشرين عاماً لحكم السلاطين قبل ذلك ، خلال الفترة بين  
حمارة وجده الكبير ، نستطيع أن نقول أن الجدل الكبير قد جاء من لولة في أول القرن  
الرابع عشر أو آخر الثالث عشر .

وهذا التاريخ يتفق اتفاقاً تاماً مع الحقيقة التي تسندها المصادر التاريخية أن السلطنة  
قد امتدت سيطرتها على اقليسي البطانة والنيل الأزرق وذلك على أثر خروج ملك  
علوه المسيحي في هجرته إلى الغرب حيث أخذ من بلدة « كوشة الواغة » وقد بقي  
هناك بعض الوقت ولا يعلم مصيره . ويعتقد أنه قد استمر في سفرته نحو الغرب ،  
ويحتمل وصوله إلى الأقليم المعروف الآن بسيراليون حيث توجد هناك جالية من  
المهجرين من إقليم الجزيرة السودانية وهم الكسو Kasa ويعرفون الآن بالكسي  
Kiss (٨٢) ، ويجدر بالباحثين الاهتمام بهذه الهجرات وهي التي قام بها -

(أولاً) هجرة ملك مرو ( في القرن الثالث لئيلادي ) .

(ثانياً) هجرة قبائل العجون من البطانة إلى الغرب ( في القرن الرابع لئيلادي ) .

(ثالثاً) هجرة ملك علوة إلى كردفان والغرب في القرن الثالث عشر .

(رابعاً) هجرة قبائل سودانية في مقدمتها الكسو Kasa من الجزيرة إلى الغرب  
وتعديد تواريخها .



(١) لعن الدكتور إيرلبر Eber Elber النمسي مقالاً عن مشاهداته في سيراليون  
وأشار إلى هذه المجموعة السودانية الـ Kissi ولم يشر بطبيعة الحال إلى الوطن الأول لهذه  
القبيلة . ولقد حققنا ما جاء في مقالته فقررته مع ما ذكره بن سليم الأسواني . وقد اتصل به  
المؤلف فلم أنه قد كتب عدداً من المقالات في دوريات الدول الاسكندنافية والدكتور إير هو  
طبيب نفسي كان يعمل في غرب أفريقيا في دراسة للتطور بين الفردية . وقد توفي  
في الأربعينات .

ويجدر بنا قبل اعطاء صورة عن تطور المجرات الفنجية في الفترة من منتصف القرن السابع حتى القرن الثالث عشر، أن نوضح بعض المصطلحات الخاصة بالفنج .  
 فلفظ الفنج الذي يطلق على هذه السلطنة ، [نجد أن صورته للصوتية بكسر الفاء وسكون الذون وفنج الحميم (فنج) وهو اللفظ الذي ينطق به في الوطن الأول للقبيلة التي تسكن وادي فمبول في عمان ، ولفظ «دوتس» وهو لفظ أثيوبي يتكون من دو وهي في الأصل Djan ومنها عظيم أو كبير . ولفظ تقس Neqs لسانها النجاشي . ومعنى هذه الكلمة في مجموعها النجاشي الكبير .

وفي اتخاذ هذا اللقب ما يشير ضمناً إلى عابق علاقة بين الفنج والحبشة ، ولفظ مك وهو اللفظ المحلي في السودان الذي يطلق على مستوى معين من الزعامات وهو يعني السلطان أو ملك ، وأصل هذا اللقب يرجع إلى شرق أفريقيا حيث يستخدم كلقب للزعيم وبخاصة في الصورة الصوتية فيقاو Meka أو Mka أما جملة المبع وصحتها المماق والمبع نقل عن المصادر الاجنبية ومعناه التوحش أو البدائي ، واللفظ المماق ما لا تعرف به جماعات في بربر ودقة .

وهناك أيضاً جماعة الأونساب ، وتأتي هذه المجموعة في الرتبة الثانية بعد بيت الفنج حيث تحتم التقاليد والمعادن في السلطنة أن تكون زوجة السلطان للنتخب من هذه الجماعة وأن هذه الزوجة لابد لها من مشاركة زوجها في خلوته التي يجب أن يمر بها قبل ولايته للحكم . وهذه فيما يبدو لنا نقطة هامة جديدة بالبحث لأنها فيما يبدو قد ورنها السلطنة في ظروف محلية في موطنها الجديد أي في الإثيوبيا ولا شك كان في ذلك نصيب الأكبر المظاهرة التي جعلت من الأونساب وهم غوالة السلطان جناباً . وتأتي بعد هؤلاء المماق (الذين يعرفون في كتب المؤرخين بالمبع) وقد كان وزراء السلطنة من هذا البيت أي بيت المماق ، ويعرف الانساب أيضاً

حيث عين الشمس ، ولا شك في أن ضرورة الاعتكاف للسلطان للتخبط وزوجته من عين شمس تقليد مأخوذ عن مصر القديمة .

وننتقل الآن إلى قضية الفنج ومراحل تطور حكمهم منذ القرن السابع الميلادي ؛ أى أن يعود البحث إلى السير في ترتيبه التاريخي بعد أن تمت عملية البحث التنازلي وتركز اهتمامنا في هذا البحث بمرحلة دخول الفنج إلى أفريقيا وتطورهم قبل القرن الرابع عشر .

هاجرت جماعة من إقليم عمان مع مجموعات أخرى من العرب إلى ساحل شرقي أفريقيا ، وذلك بعد ظهور الدعوة إلى الإسلام ، طلبا للرزق . وقد ورد ذكر هذه الجماعات في مخطوطة تعرف بكتاب الزنوج نشرها تشيرولى في كتابه سوماليا<sup>(١)</sup> . فقد ورد في المخطوطة (صفحة ٢٣٦) « كان أهلها من طيوى وفنج . فن فنج التي بمان وواسين عريية أصلية ، واسين اعنى حزن هو معناه ، لأن أهل فنج كانوا يبحون الناس هناك . . . . وكانوا يبحون بالسفائن وللواشي غالبيهم وبالير ، كانوا يبحون لأجل الحرب من سواكن وبربره . . . » وللقصود بالحرب هنا ممارسة القرصنة في الجانب الأفريقي - خليج عدن والبحر الأحمر . وتغير الموقف بعد وصوله قوات الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ، الذي تولى الخلافة (من عام ٦٦٤/٧٠٥م) ، إلى ساحل الزنج حيث اتخذت قاعدة لها في جزيرة لامو .

---

(1) Cerulli, Enrics, Somalia. Vol. I., Roma 1957, Page 233/251 and Itabal Transtalion p. 253/325.

(2) Shaibu Faraji Bén Hamed al Bakariy al Lamuy: Khabar al Lamu, a Chronichle of Lamu, transtiterated and Transtated from the Surahili script and annoted of William Hichens, in Banu Studies Journal vol. I deel XII Maeh 1938 p. 8 ff.



وقد كان اهتمام الامويين بعد زولهم إلى ارضييل اللامو ، موجهـا إلى الانشا ط  
التجارى ، فأنشأوا عدا كبيرا من الموانى التجارية على الساحل الاقربى الشرقى ،  
وشجعوا التجارة بين الشاطى وداخل القارة (١) ويبدو أنه قد حدث فى فترة سيطرة  
الامويين ، على ساحل شرقى إفريقيا من مركز رياستهم فى اللامو، قد حدث مصاهرة  
بين جماعة فنيج والامويين فى اللامو، وقد يؤيد ذلك ما جاء فى مخطوطة كاتب الشونة  
( نسخة القاهرة ) حيث يقول « ما جاء فى ذكر نسب الفنيج قبل أنهم من بنى أمية  
لما اترزع منهم الملك وهرتهم ( كذا ) بنو العباس جاء منهم رجلان إلى هذا  
الحل وأستولدوا النساء وأن الفنيج من نسلهم وقيل غير ذلك » . (٢) أما القول بأن  
الأمويين قد دخلوا إلى السودان بعد سقوط دولتهم عن طريق الشمال ، وجاء فى  
فى هذه الرواية أن ابنى مروان بن محمد ، آخر الامويين وهما عبد الله وعبيد الله  
هربا فى نحو الفين من اتباعهما لبلاد النوبة سنة ٧٥٠ م ، ولم يسمح لهما ملك النوبة  
بالبقاء فى بلاده بعد أن دار بينهما وبين النوبة نقاش حاد . وتقول الرواية انهما  
عادا إلى الحجاز عن طريق باضع . . . فسير أن هذه الرواية من نسج الخيال  
لأنه لا يوجد ما يدعمها .

وقد جاء الوقت الذى يتحتم علينا فيه العمل على تنقية التاريخ القومى من هذه  
الاساطير . وعلى أى فقد بقى الفنيج فى اللامو مع الامويين حتى نهاية دولتهم فى  
عام ٧٥٠ م . ولم تتوفر لدينا أية معلومات مسيرة الاحداث بين نهاية دولة الامويين  
حتى القرن الثالث عشر أو الرابع عشر . وقل ما هنالك الذى نستطيع أن نفترض  
بصحته أو الاخذ به وهو نقوش نقارة الدار الفنجية التى نقش عليها .

(1) Stigand, C.H., the Land of Zing, London 1913  
p. 113 ff, See also Prins, A.H.J. the Coastal Tribes  
of the North Eastern Banta London 1952.

(٢) مخطوطة كاتب الشونة — لأحمد بن الحاج أبو على تحقيق الشاطر بصيب عبد الجليل  
القاهرة ١٩٦٦ م ٤ .

تجارة للدار بقارة السلطان

عمارة بن السلطان بجلان

جدم الكبير الجاه (١) من بول

نعمه الله السلطان بادي من السلطان بول (٢)

وقد حدثت تغييرات هامة بعد نهاية الدولة الأموية وقيام المباسين فقد اشتدت التجارة في النوازل ، واتسعت رقعة النشاط الاقتصادي في مختلف بقاع القارة الأفريقية حيث دخل للفاثرون من العرب إلى داخل القارة وعملوا في التجارة وللمدن وأسسوا للندن في النقاط الاستراتيجية . وجاءت أيضا جماعات من النيبانيين والازروعيين وأسسوا بيوتا تجارية أو بمعنى أدق نقابات . وأسسوا للندن ولطواني وادخلوا تعديلات كبيرة على المجتمع . وعملوا على نشر الاسلام ، الأمر الذي أوكل إلى الفقهاء بطرق ميسرة وأنشأوا دور التعليم وللزراع لتعليم السكان المحليين .

وبهذا التعرف على مسيرة النج من موطنهم في الامو بعد سقوط الدولة الأموية وقد ارتبطوا بها ارتباطا وثيقا . فهناك احتمال أو افتراض خروجهم من الامو إلى الشمال عن طريق البحر . وعلى هذا فقد أخذنا بتقسيم الزمن من فترات قد تبلغ الثلاثة قرون من الزمان . وتمتطيع أن تتقرب هذه الرحلة بالبحث عن مختلف السالك . فيحتمل أنهم قد تنقلوا عبر البلاد الشمالية إلى الصومال وإقليم سلطانات الطراز الإسلامي . ويحتمل أيضا أنهم قد انتقلوا عن طريق البحر الأحمر إلى أحد ميناءين في الحبشة والارترية

(١) الجاه = الذي جاء . (٢) A.E.R. the Fung Drum or Nehas, Sudan Notes & Records vol. IV p. 211—212.

أولها مبناء عسدي والثالثة مبناء مدر ويني هذا الاقتراض على وجود مقابر صندوقية (١) كثيرة العدد وهي للمقابر التي اعتاد أن يستخدمها الفنج لدفن موتاهم من السلاطين ومن في درجهم . وتمتد هذه المقابر الصندوقية حتى خور بركة في الارتريريا .

وتواجه الباحث أيضاً مشكلات تطرح نفسها لتحديد العلاقة بين السلطان المحلية التي كانت قائمة وبين الفنج أو الفنج قبل تكون سلطتهم فقد كانت هناك سلطنة النجوني التي حكمت لفترة طويلة وامتدت سيطرتها حتى عيذاب في الشمال . ونعلم أنها كانت محكومة بسلاطين من النساء منها للكة صديقه ، وتعلم أيضاً أخت للكة مكنز النساء قميوه دركت الوصاية على ابنه . .

ولا شك في أن البحث عن هذه السلطنة الفنجية في مرحلة تكوينها موضوع له أهميته البالغة فهي أيضاً تكشف عن نشاطات العرب والمسلمين في هذه الجهة من أفريقيا .

---

(١) Kammerer, A., La mer Rouge, L'abyssinie et l'Arabie aux XVII Seconde Partie XVII p. 315, p. 300—36.

no other way but to accept that the only way to get (f)  
and (g) is to accept (h) and (i) and (j)  
and (k)

## مراجع البحث ومصادره

ابن بطوطه : رحلة

للسمودي : مروج الذهب

كتاب الزنوج بكتاب صوماليا لمؤلفة تشرولى طبع روما الجزء الأول  
أحمد بن الحاج أبو على : مخطوطه كانت الشونه تحقيق الشاطربصلى عن اكليل  
القاهره سنة ١٥٦١

Arkell, A.J., Cambay and Bead Trade : Antiquity  
X, 1936.

Axelsson, E., South East Africa, 1940.

Badger, E., History of the Immams and Seyyids  
of Oman, 1871.

Freeman-Grenville, G.S.P., The Medieval History  
of the Coast of Tanganyika, 1962.

Kamerer, A., Le Mer Rouge, l'Abyssinie et  
l'Arabie, Caire.

Prinns, A.H.J., The Coastal Tribes of the North  
Eastern Bantu, 1952.

Sergeant, R.B., The Portuguese off the South  
Arabian Coast, 1963.

Shaibu Faraji bin Hamed Al Bakariy al Lamy,  
Khabar al Lamu, translation by Hichens, Bantu  
Studies Journal, XII, No. I, 1938.

Stigand, C.H., The Land of Zing, 1933.

Strandes, J. The Portuguese Period in East Africa.

[illegible]